

شرح كشف الشبهات

الدرس ٦

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد...

معنا اليوم الدرس السادس من دروس شرح كشف الشبهات.

وقفنا عند قول المؤلف رحمه الله: **(فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً؛ حاشا وكلا)**

يعني صاحب الشبهة.

يتحدث المؤلف عن شبهات يذكرها بعض الذين يعبدون غير الله سبحانه وتعالى من أصحاب عبادة الأوثان، الذين يعبدون الأولياء الصالحين ويعبدون القبور.

قال: **(فإن قال) - أي: هذا الذي يعبد القبور- (أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا)** الآن هو ينكر أنه يشرك؛ أي: ينكر أنه يعبد غير الله سبحانه وتعالى.

قال: **(ولكنّ الالتجاء إلى الصّالحين ليس بشرك)**

هذا هو موضوعه الآن؛ أين شبهته؟ شبهته: أنه لا يعلم ما هو الشرك؛ هذه مشكلة، هذا الشخص عندما يقول لك: أنا لا أشرك، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك؛ إذاً هو لا يفهم ما هو الشرك.

لذلك قال المؤلف: **(فقل له: إذا كنت تُقرُّ أنّ الله حرّم الشرك أعظم من تحريم الزّنا)**

أكيد هو يقر بهذا.

قال: **(وتقرُّ أنّ الله لا يَغْفِرُهُ)**

يعني: الشرك؛ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} (١) إذن أكيد هو يقر بهذا.

قال: **(فما هذا الأمر الذي حرّمه الله، وذكر أنّه لا يغفره؟ فإنه لا يدري)**

يعني الآن وجه له سؤالاً فقل له: تُقَرِّ بأنّ الله حرّم الشرك أعظم من تحريمه الزنا؟ يقول لك: نعم، طيب تُقَرِّ أنّ الله لا يغفر الشرك؟ يقول لك: نعم، قل له: طيب ما هو هذا الشرك الذي حرّمه الله أعظم من تحريم الزنا والذي لا يغفره الله؟ يعني عرّف لي الشرك، أفهمني ما هو الشرك الذي أنت نفيتَه عن نفسك سابقاً؟ تقول: أنا لا أشرك لكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك؛ إذن عرّف لي الشرك.

قال: فإنه لا يدري؛ ما هو الشرك؛ هو لا يعرف الشرك؛ لأنه لو عرف ما هو الشرك لما قال: إن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك.

قال: **(فقل له: كيف تُبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟)**

يعني: أنت لا تعرف الشيء؛ فكيف تعرف هل أنت واقع فيه أم لا؛ وانت لا تعرفه؟ وهذا من خطورة الجهل بالشرك وعدم العلم والمعرفة به؛ خطورته أنك تقع فيه وأنت لا تدري؛ كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: متى تنقض عرى الإسلام؟ قال: إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية؛ لماذا؟ لأنهم سيقعون في الجاهلية وهم لا يعرفون أنهم مثل أبي جهل وأبي لهب، هم يذمّون أبا جهل وأبا لهب ولا يحبونهم؛ لكنهم يفعلون فعلهم، وهم لا يدرون؛ لأنهم لا يعرفون ما الذي كان يفعله أبو جهل؟ ولماذا قاتل النبي ﷺ أبا جهل؟ ولماذا قاتل أبو جهل النبي ﷺ؛ وعلى ماذا؟ لا يعرفون هذه الأشياء؛ فلذلك وقعوا في الشرك؛ وهذه خطورة الجهل بالشرك؛ فقل له: كيف تُبرئ

نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ إذن لا بدّ أن تعرف ما هو الشرك؛ حتى تعلم هل أنت واقع فيه أم لا؟

قال: **(أم كيف يحترّم الله عليك هذا، ويذكر أنّ لا يغفره؛ ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟)**

ما يجوز، لا يجوز أن تبقى جاهلاً بأصل الإسلام؛ التوحيد، يجب عليك أن تتعلم التوحيد كي تعمل به، وتتعلم الشرك كي تتركه وتفرّ منه؛ فطلب العلم هذا واجب- معرفة أصل دينك-؛ هذا واجب.

قال: **(أتظنّ أنّ الله يحترّمه ولا يبيّنه لنا؟)**

مستحيل؛ الله سبحانه وتعالى قد بيّن لنا كل شيء من أمور الشريعة، حتى قال اليهودي لسلمان الفارسي: لقد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة، فقال له سلمان: (أجل؛ لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول...) (1)، كل شيء علمناه ﷺ؛ فكيف لا يُعلمنا أصل ما جاء به عليه الصلاة والسلام وبقي ثلاثة عشر سنة في مكة وهو يُعلم الناس التوحيد وضده الشرك، فكان يُبيّن لهم التوحيد ويُبيّن لهم الشرك؛ لكن الإشكال يأتي من تقصيرنا نحن، الله سبحانه وتعالى قد أنزل كتابه على نبيه ﷺ وأخذ عليه أن يُبيّنه للناس ويُبيّن لهم أمور الشريعة كاملة، وقد بُيّنّت أحسن بيان، من يبقى جاهلاً بعد ذلك؛ فبتقصيره هو؛ وإلا كلّ شيء واضح، والعلم الآن- الحمد لله- متوفر بين يديك؛ ما الذي يجعلك تتركه وتعرض عنه؟ إنه تقصيرك؛ تقصيرك هذا يمكن أن يخلدك في نار جهنم إذا لم تتعلم التوحيد، وإذا لم تعرف الشرك وتفرّ منه، لا تكون معذوراً لأنك مُقصر، وأنت مأمورٌ بطلب العلم ومعرفة ما يجب عليك من أمور دينك، يعني لا تتصور أبداً أنّ الله سبحانه وتعالى لم يُبيّن لك ما هو التوحيد وما هو

١- أخرجه مسلم (٢٦٢).

الشرك، وما الذي يريد منك وما الذي لا يريد منك؛ لا تتصور هذا؛ كله مبين واضح في كتاب الله وفي سنة الرسول ﷺ، وبقي عليك التعلم.

قال: **(فإن قال: البتة عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام)**

وهذا الجواب هو الموجود في أذهان الكثير من الناس، تأتي تكلمه وتساءله: ما هو الشرك؟ يقول: هو عبادة الأصنام، وأنا لا أعبد الأصنام؛ إذن خلاص انتهى هو لا يُشرك؛ يعني: لو عبد أي شيء غيرها بعد ذلك؛ فلا مشكلة؛ المهم أنه لا يعبد الصنم فقط؛ هذه مصيبة، هذا الفهم للشرك مصيبة؛ لأنه سيؤدي إلى أن تجتنب- إذا كنت حريصاً على التوحيد، وهذا هو علمك في التوحيد- ستجتنب عبادة الأصنام؛ لكنك ستذهب وتعبد الحجر وتعبد الشجر وتعبد الجن وتعبد الملائكة وتعبد الأنبياء وتعبد الأولياء؛ لا مشكلة؛ لماذا؟ لأنك لا تعرف أن هذا شرك؛ وهذا هو القائم في أذهان الكثير من الناس اليوم، إذا سألتهم ما هو الشرك؟ يقول لك: عبادة الأصنام- هذا إذا عرف الإجابة طبعاً-، الذي يعرف الإجابة منهم سيقول لك: عبادة الأصنام.

لا؛ ليس فقط في الأصنام، ليس فقط هذه الحجارة المنحوتة على شكل ابن آدم- هذه هي الأصنام التي يتصورونها فقط-؛ لا ليست هذه فقط، هذه الحجارة المنحوتة على شكل ابن آدم هي أصلاً نُحِتَتْ على شكل إنسان وليٍّ، فأصلها أصلاً: وليٍّ، فأنت حين تعبدها؛ تعبد الأصل؛ تعبد الأولياء، فهذه الحجارة أُصْلِحَتْ على شكل أولياء في قوم نوح، إذن أنت تعبد الأوثان، عبدت ولياً، عبدت شجراً، عبدت حجراً، عبدت صورة، عبدت تمثالاً، عبدت الشمس، عبدت القمر، عبدت الإنس، عبدت الجن؛ كل هذا يعتبر شركاً؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ

شَيْئًا^(١) {شَيْئًا: نكرة في سياق النهي؛ تفيد العموم؛ أي شيء، وقال: {اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ^(٢) كل ما عُبد من دون الله؛ يجب عليك أن تجتنبه، ولا يجوز لك
أن تعبد مع الله غيره، فإذا فهمت هذا المعنى؛ عرفت الشرك، أما أن تحصر العبادة في
الصنم فقط؛ فأنت ما عرفت الشرك.

قال المؤلف: **(فقل له: ما معنى: عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك
الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن)**

يعني يقول له المؤلف: صف لي عبادة الأصنام التي ذكرت أنها شرك؛ هل تظن أن
معنى عبادة الأصنام: أن هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها يعتقدون فيها أنها تخلق
وترزق وتدبر؟ يعني شركاً في الربوبية فقط؟ قال: (هذا يكذبه القرآن)؛ يعني ليس
هذا المقصود، وقد تقدّمت معنا الآيات التي دلّت على أنّ مشركي قريش الذين
يعبدون الأصنام كانوا يعتقدون أنّ الله هو الخالق الرازق المدبر ولا يعتقدون أن هذه
الأصنام هي التي تفعل ذلك؛ إذن ما هي عبادة الأصنام؟

قال: **(وان قال: هو من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره، يدعون ذلك،
ويدجون له، ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع الله عنا ببركته، أو يعطينا
بركته؛ فقل: صدقت)**

هذا هو الشرك؛ هذه هي عبادة غير الله، من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر-
أي شيء مبني على قبر- أو غيره، أي شيء من هذه الأشياء يقصدها يتقرب إليها
بالذبح والدعاء والخضوع والتذلل لها، يدعونها، يتضرعون إليها، يذجون لها، يستغيثون

١- [النساء: ٣٦]

٢- [النحل: ٣٦]

بها؛ يقولون نفعل ذلك لأنها تقربنا إلى الله زلفى ويدفع الله عنا بركتها أو يعطينا بركتها؛
نقول: صدقت هذه عبادتهم لها، هكذا كان يفعل كفار قريش مع أصنامهم؛ كانوا
يذجون لها ويتقربون إليها بأنواع القرب ويعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا
لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، قالوا: {ما نعبدهم}؛ طيب كيف كانت عبادتهم لها؟ كانوا يذجون
لها يندرون لها يستغيثون بها؛ هكذا كانوا يصنعون؛ هذه هي عبادة الأصنام.

قال: (وهذا هو فعلكم عند الأجار والأبنية التي على القبور وغيرها)

إذن أنتم أنفسكم مشركون؛ فتفعلون مع هذه الأبنية والأجار التي على القبور وغيرها
نفس ما كان يفعل أبو جهل وأبو لهب عند الأصنام في مكة؛ نفس الشيء.

قال: (فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام؛ فهو المطلوب)

إذا اعترف بهذه الجزئية الأخيرة؛ فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام؛ فهذا
المطلوب وهو الذي نريد؛ وهكذا يكون النقاش معهم في هذا الأمر.

ثم جواب آخر:

**قال: (ويقال له- أيضاً:- قولك: الشرك عبادة الأصنام؛ هل مرادك أن الشرك مخصوص
بهذا؟ وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في ذلك؟)**

وهذا الجواب الذي بدأنا به؛ يعني: أنت الآن تتصور أن عبادة الأصنام محصورة في
الأصنام فقط؛ أما الاعتماد على الصالحين ودعائهم والتقرب إليهم لا يعتبر عبادة؟

**قال: (فهذا يرده ما ذكر الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو
الصالحين)**

وقد تقدم معنا هذا وبيّنا في بداية رد الشبهة أنّ بعض من قاتلهم الأنبياء على الشرك كانوا يعبدون الجن والملائكة والإنس... إلخ.

قال: **(فلا بُدَّ أن يُقَرَّ لك: أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين؛ فهو الشِّركُ المذكورُ في القرآن؛ وهذا هو المطلوبُ)**

وهذا الجواب نفسه تقدّم.

قال: **(وسرُّ المسألة)**

يعني لب الموضوع وخلاصته

قال: **(أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله؛ فقل له: وما الشرك بالله؛ فسرّه لي؟)**

هذه خلاصة الموضوع، إذا قال لك: أنا لا أشرك بالله، طيب عرّف لي الشرك، ما هو الشرك؟

قال: **(فإن قال: هو عبادة الأصنام؛ فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرّها لي، فإن**

قال: أنا لا أعبد إلا الله؛ فقل: ما معنى عبادة الله؛ فسرّها لي؟ فإن فسرها بما بيّنه

القرآن؛ فهو المطلوب)

ما معنى عبادة الله؟ أن نخضع ونتذل بين يدي الله تبارك وتعالى، عبادة الله؛ كمال الخضوع والتذل بين يدي الله تبارك وتعالى بما شرع؛ الذبح لله، النذر لله، الدعاء لله تبارك وتعالى، الاستغاثة بالله... إلى آخره؛ هذا كله الذي فعله مع الله تبارك وتعالى هذه عبادات لله، إذا صرفناها لغيره فهذا هو الشرك، هذا معنى العبادة، أمرها سهل واضحة، أنت عندما تقوم تصلي تسجد وتركع ماذا تفعل؟ تعبد الله؛ هذه العبادة، عندما تتصدق وتزكي، ترفع يديك وتدعو، تستغيث: يا رب ارزقني يا رب اغثني؛

ماذا تفعل؟ تعبد الله سبحانه وتعالى، عندما تنذر لله سبحانه وتعالى نذراً؛ ماذا تفعل؟ عبادة تتعبد لله سبحانه وتعالى، عندما تحج وتطوف وتتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، عندما تذبح وتتقرب إلى الله تبارك وتعالى؛ هذه هي العبادة، فصرفها لغير الله؛ يعتبر شركاً؛ فقط الأمر سهل.

قال: **(وان لم يَعْرِفُهُ؛ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئاً وهو لا يَعْرِفُهُ)**

هذا غريب هذا سؤال تعجب

قال: **(وان فسر ذلك بغير معناه؛ يَبْتَدَأُ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله، وعبادة الأوثان)**

كما تقدم

قال: **(وأنه الذي يَفْعَلُونَهُ في هذا الزمان بِعَيْنِهِ)**

تذهب تجده عند الأضرحة، اذهب عند الأضرحة؛ ستجد نفس الذي يفعلونه، هذا الشرك؛ تجدهم يسجدون لها، رأيناها ورأيتوها، ومع انتشار هذه الفيديوهات القصيرة؛ صار الأمر واضحاً؛ صاروا يصورون أنفسهم وينشرون الصور، وانظر ماذا يفعلون: تمسح بها وسجود لها والطواف حولها والذبح لها؛ كله موجود، يذهبون إليها ويستغيثون بها: يا سيدي فلان ارزقي الولد، يا سيدي فلان حالي كذا، يا سيدي فلان؛ استغاثة بغير الله سبحانه وتعالى، استغاثة بغيره فيما لا يقدر عليه إلا هو تبارك وتعالى، يجعلون هذا الولي بمنزلة رب العزة تبارك وتعالى فيشركون به معه؛ هذا الواقع حالياً، يعني إذا أردت باختصار أن تعرف الشرك؛ فاذهب وانظر ما الذي يحدث عند هذه الأضرحة وهذه القبور من هؤلاء المشركين، وإذا أردت أن تعرف ما هو التوحيد؛ فانظر إلى الموحّد وهو يعبد الله على الكتاب والسنة؛ تعرف ما هو التوحيد، هذا

الذي يفعله قربة إلى الله سبحانه وتعالى؛ هذا هو التوحيد، فهو عبادة الله سبحانه وتعالى؛ هذا معنى العبادة وإفراد الله بهذا هو التوحيد.

قال: **(وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي يُتَكْرَمُ علينا ويصيحونَ فيه)**

هل جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب بشيءٍ جديدٍ؟ أترون شيئاً جديداً جاء به؟ هو يأمرنا بأن نرجع إلى ما كان عليه النبي ﷺ وإلى دعوة النبي ﷺ - دعوة التوحيد - ونبذ الشرك؛ هذا ما يطلبه منا جزاه الله خيراً على ما قدّم، ويذكر لك: قال الله قال رسول الله ﷺ، ما يأتي بكلام غير مفهوم، ولا يخوض في الكلام ولا في غيره؛ لا؛ بل جاءك بآيات وأحاديث وكلام من السلف رضي الله عنهم، تجدونه كله في كتاب التوحيد، احكم بإنصاف ولا تكن إمعة تسمع الكلام وتذهب وتضيع يوم القيامة ويتبرأ منك الكبراء الذين أضلوك - لا ينفعونك بشيء -، اقرأ وانظر؛ كم من عبدٍ كانوا يُلبسون عليه ويغشونه ويخدعونه: (الوهابية، واحذر من الوهابية، ولا تقرأ في كتب الوهابية)، ولما قرأ، أراد الله له الهداية؛ قال: والله ما وجدتُ إلا قال الله، قال رسول الله ﷺ، وقال السلف الصالح رضي الله عنهم، وصار بعض هؤلاء أئمة، علماء أكبر بعد أن كاد الكبراء أولئك أن يُضلوهم، فهل ينفعه أن يأتي ويقول: ربنا اتبعنا ساداتنا وكبراءنا؟ لا ينفعه هذا؛ خلاص يتبرأ منه أسياده، عندئذٍ لن ينفعوه شيئاً {إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب} (١) تبرؤوا منهم.

قال: **(كما صاح إخوانهم حيث قالوا: {أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} (٢))**

١- [البقرة: ١٦٦]

٢- [ص: ٥]

مَنْ إخوانهم؟ المشركون؛ مشركو قريش لما جاءهم النبي ﷺ وقال لهم: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"؛ ماذا أجابوه؟ قالوا: أ جعل الآلهة إلهاً واحداً والله هذا شيء عجيب؛ يعني: كيف جعلت الآلهة هذه كلها التي نتقرب إليها ونعبدها؛ جعلتها إلهاً واحداً نتقرب إليه ونعبده؟ إنَّ هذا لشيءٌ عجاب غريب يُتَعَجَّبُ منه، وهؤلاء فعلوا مثلهم، لما دعاهم إلى التوحيد ونبذ الشرك وترك عبادة الأولياء والقبور والأضرحة وصرف العبادة لله سبحانه وتعالى؛ قالوا جاء بدين جديد، طبعاً أكيد بالنسبة لهم جاء بدين جديد؛ لأنَّ الدين الحق قد نُسي، وترى الصغير على الباطل ونشأ عليه فصار لا يعرف إلا هذا الشرك الذي هو عليه، فصار يرى التوحيد ديناً جديداً مخالفاً لما تربى عليه ونشأ عليه؛ لذلك احذر بأن تحكم على الشرع من خلال ما تربيت عليه؛ فربما تكون قد تربيت على باطل؛ خاصة نحن في آخر الزمان؛ يعني قد مضى على النبوة أكثر من ألف وأربع مائة عام، نعم الحمد لله الدين محفوظ؛ لكن عليك أن تبحث وتنظر: هل ما تربيت عليه من هذا المحفوظ الذي بقي؟ أم قد اختلطت الأمور عند قومك ودخلوا في الشرك والبدع والضلالات؟ ابحث وانظر.

قال: (فإذا عرفت أن هذا الذي يُسميه المشركون في زماننا: كبير الاعتقاد؛ هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه)

فإذا عرفت؛ يعني: إذا علمت ما معنى العبادة، وأن ما عليه أولئك المشركون في زمانه رحمه الله هو ما كان المشركون عليه في عهد النبي ﷺ؛ عرفت أن شرك هؤلاء أعظم من شرك الذين قاتلهم النبي ﷺ من وجهين؛ كما قال.

(فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا كبير الاعتقاد)، الذي يسميه المشركون في زمنه الاعتقاد: "هو الشرك"؛ هو نفسه الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه.

قال: **(فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين)**

يعني: الآن فهمت ما هو التوحيد وما هو الشرك؟ إذا عرفت هذا؛ فاعرف أن شرك المتأخرين الذين يعيشون بيننا اليوم أعظم من شرك أبي جهل ومن كان في زمنه، من أين هذا؟

قال بأمرين؛

(أحدهما: أن الأولين لا يُشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما الشيعة؛ فيخلصون لله الدعاء)

هذا الفرق الأول؛ يعني: امتاز المشركون الأوائل على المشركين المتأخرين، وكان المشركون المتأخرون أعظم شركاً من المشركين الأوائل بأمرين؛ الأول: هذا؛ وهو أن مشركي زمن الجاهلية كأبي جهل وأبي لهب ومن شابههم؛ كان شركهم في حال الرخاء في حال السعة وهم مرتاحون، وليسوا واقعين في ضيق، يعني: كانوا يشركون ويعبدون، لكن إذا وقعوا في ضيق وفي أزمة واحتاجوا إلى من يُعينهم؛ التجأوا إلى الله سبحانه وتعالى وحده، وحَدوا عندئذٍ وتركوا الشرك في ذلك الموقف؛ ما الدليل على هذا الكلام؟

انظر كيف يأتي لك بالدليل

قال: **(كما قال الله تعالى {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَغْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا}{^(١))**

انظر، الله سبحانه وتعالى يخاطب المشركين في زمن النبي ﷺ، إذا كانوا في البحر ركبوا في السفن وجاءت أمواج وخشوا على أنفسهم من الهلاك وما بقي عندهم إلا اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى؛ يلجؤون إليه وحده، يدعون الله مخلصين له الدين، لا يدعون غيره ولا يسألون سواه؛ قال: {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ} فلما يُنجيهم الله سبحانه وتعالى إلى البر ويخلصهم من الأزمة التي كانوا فيها؛ يرجعون إلى شركهم {وَوَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} إذا هؤلاء كانوا يُوحِدون في حال الشدة ويشركون في حال الرخاء، أما مشركو زماننا؛ فيشركون في الشدة وفي الرخاء، حتى في الشدة تجدهم يستغيثون بأوليائهم ولا يستغيثون بالله سبحانه وتعالى، ولعلكم تسمعون حين تحصل بعض النكبات: يا علي! يا عذراء! يا سيدي فلان! هكذا يكونون في أوج الأزمة، سمعنا هذا منهم في أوج الأزمة عندهم؛ وهذا شركهم، والموحِد يقول: يا الله؛ فانظروا الفرق بين هذا وهذا.

والآية الثانية التي تدل على ما قال المؤلف رحمه الله:

قال: **(وقوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} (١)، وقوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ} إلى قوله: {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} (٢)، وقوله تعالى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} (٣)**

كلها آيات بنفس المعنى؛ في الرخاء يشركون وفي الشدة يوحِدون.

١- [الأنعام: ٤٠-٤١]

٢- [الزمر: ٨]

٣- [لقمان: ٣٢]

قال: (فمن فهم هذه المسألة التي وصَّحها الله في كتابه؛ وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء)

يعني بعيداً عن الشدة وعن الضراء والأزمة، وهم في سعة مرتاحون.

قال: (وأما في الضراء والشدة؛ فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم)

الذين يعبدونهم في حال الرخاء؛ فمن فهم هذه المسألة؛ قال:

(تَبَيَّنَ لَهُ الْفَرْقُ بَيْنَ شَرِكِ أَهْلِ زَمَانِنَا وَشَرِكِ الْأَوَّلِينَ؛ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبَهُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَهِيَ رَاسِحًا؟! وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ)

خلاص أنت إذا فهمت هذه المسألة؛ عرفت الفرق بين شرك أولئك وشرك هؤلاء.

قال: (الأمر الثاني:)

هذا الفرق الثاني بين شرك الأولين وشرك الآخرين.

قال: (أَنَّ الْأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنْسَاءَ مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللَّهِ؛ إِمَّا أَنْبِيَاءَ وَإِمَّا أَوْلِيَاءَ وَإِمَّا مَلَائِكَةً أَوْ يَدْعُونَ أَشْجَارًا أَوْ أَحْجَارًا مُطِيعَةً لِلَّهِ، لَيْسَتْ عَاصِيَةً)

يعني أولئك الأولون يتخذون آلهة من عباد الله الصالحين، أو على الأقل من الأحجار والأشجار التي تسبح لله سبحانه وتعالى.

قال: (وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أَنْسَاءً مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمْ الْفُجُورَ مِنَ الزَّانِ وَالسَّرِيقَةِ وَتَرْكِ الصَّلَاةِ؛ وَغَيْرِ ذَلِكَ)

طبعاً منهم من يعبد أيضاً الأولياء والأنبياء وغيرهم؛ لكن أيضاً تجد البعض يعبدون بعض الفسقة والفجرة ويجعلونهم أولياء- وهذا في غلاة الصوفية كثير- ويزعمون أنّ هؤلاء أولياء؛ لكنهم يفعلون المعاصي ويفعلون هذه الأشياء؛ لأنّ هؤلاء قد سقط عنهم التكليف.

وعندهم شبهات وأشياء نسأل الله العافية والسلامة؛ لكن هذا من الفرق الذي ذكره المؤلف رحمه الله بين شرك الأولين والآخرين.

قال: **(والذي يعتقّد في الصّالِح أو الذي لا يعصي- مِثْل الخَشَبِ والحَجَرِ- أهْوَن مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهِدُ فِسْقَهُ وَفِسَادَهُ وَيَشْهَدُ بِهِ)**

فمع أنّ الجميع شرك، الكل شرك، الكل مشركون؛ لكن هؤلاء أهون قليلاً في هذه النقطة.

ونكتفي اليوم بهذا. والحمد لله.